

سورة الإنسان

مدنية، وأياتها إحدى وثلاثون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾﴾

هل بمعنى «قد» في الاستفهام خاصة، والأصل: أهل، بدليل قوله [من البسيط]:

أهل رأؤنا يسفح القاع ذي الأكم؟ (١)

فالمعنى: أقد أتى؟ على التقدير والتقريب جميعاً، أي: أتى على الإنسان قبل زمان قريب ﴿حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ﴾ فيه ﴿شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ أي كان شيئاً منسياً غير مذكور نقطة في الأصلاب والمراد بالإنسان: جنس بني آدم، بدليل قوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ [الإنسان: ٢] ﴿حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ طائفة من الزمن الطويل الممتد فإن قلت: ما محل ﴿لم يكن شيئاً مذكوراً﴾؟ قلت: محله النصب على الحال من الإنسان، كأنه قيل: هل أتى عليه حين من الدهر غير مذكور. أو الرفع على الوصف لحين، كقوله: ﴿يَوْمًا لَا يَجْرَىٰ وَالِدٌ عَنْ وَادِيهِ﴾ [القمان: ٣٣]، وعن بعضهم: أنها تليت عنده فقال: ليتها تمت، أراد: ليت تلك الحالة تمت، وهي كونه شيئاً غير مذكور ولم يخلق ولم يكلف.

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾

﴿نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ كبرمة أعشار^(٢)، وبرد أكياش: وهي أفاظ مفردة غير جموع، ولذلك

وقعت صفات للأفراد. ويقال أيضاً: نطفة مشج، قال الشماخ [من الوافر]:

طَوْتُ أَحْشَاءَ مُرْتَجَّةٍ لَوْ قُبْتُ عَلَى مَشْجٍ سُلَالَتُهُ مَهِينُ^(٣)

(١) تقدم.

(٢) قوله: «كبرمة أعشار» في الصحاح «برمة أعشار» إذا انكسرت قطعاً قطعاً وقلب أعشار: جاء على بناء الجمع، كما قالوا: رمح أقصاد اه، ولم يذكر أكياش ولا مادته فيه، فليتظر في غيره. (ع)

(٣) للشماخ. ورتجت الباب وأرتجته: إذا أغلقته. والرتاج: الباب. ومشج الشيء: مزجه. والمشج -

كسبب - الممزوج. ومثله: أمشاج؛ فهو مفرد على صورة الجمع كأخلاق. وقيل: جمع مشج. =

ولا يصح أمشاج أن يكون تكسيراً له، بل هما مثلان في الأفراد، لوصف المفرد بهما. ومشجه ومزجه: بمعنى. والمعنى من نطفة قد امتزج فيها الماءان. وعن ابن مسعود: هي عروق النطفة. وعن قتادة: أمشاج ألوان وأطوار، يريد: أنها تكون نطفة، ثم علقه، ثم مضغة ﴿بَنَيْتِي﴾ في موضع الحال، أي: خلقناه مبتلين له، بمعنى: مريدين ابتلاءه، كقولك: مررت برجل معه صقر صائداً به غداً، تريد: قاصداً به الصيد غداً. ويجوز أن يراد: ناقلين له من حال إلى حال، فسمي ذلك ابتلاء على طريق الاستعارة. وعن ابن عباس: نصرّفه في بطن أمه نطفة ثم علقه. وقيل: هو في تقدير التأخير، يعني: فجعلناه سميحاً بصيراً لبنتيه، وهو من التعسف.

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾

شاكراً وكفوراً: حالان من الهاء في هديناه^(١)، أي: مكناه وأقدرناه في حالتيه جميعاً. أو دعوانه إلى الإسلام بأدلة العقل والسمع: كان معلوماً منه^(٢) أنه يؤمن أو يكفر لإلزام الحجة. ويجوز أن يكونا حالين من السبيل، أي: عرفناه السبيل إما سبيلاً شاكراً وإما سبيلاً كفوراً كقوله: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠] ووصف السبيل بالشكر والكفر مجاز. وقرأ أبو السّمّال بفتح الهمزة في (أما) وهي قراءة حسنة والمعنى: أما شاكراً فبتوفيقنا، وأما كفوراً فبسوء اختياره^(٣).

﴿إِنَّمَا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾

ولما ذكر الفريقين أتبعهما الوعيد والوعد. وقرئ «سلاسل» غير منون. «وسلاسل»،

= والسلاطة - في الأصل: ما ينسل من بين الأصابع من الطين المانع. والمهين: الحقير، يصف امرأة قبلت المنى في فرجها وطوت قبلها عليه. ومرتجة صفة للأحشاء: أي مغلقة إلى وقت تمام الحمل. على منى مختلط من منى الرجل ومنىها، سلالته: أي ما انسل وتدقق منه: مهين: حقير. وفعل: يوصف به المذكر والمؤنث، والواحد والمتعدد. ينظر ديوانه ص ٣٢٨، ولسان العرب: (مشج)، (سلل)، وتهذيب اللغة. ٥٥١/١، وتاج العروس: (سلل).

(١) قال محمود: «هما حالان من الهاء في هديناه... إلخ» قال أحمد: هذا من تحريفه المنكر وهو عند أهل السنة على ظاهره.

(٢) قال محمود: «أو يكون معناه إنا دعوانه إلى الإيمان كان معلوماً منه... إلخ» قال أحمد: واستحسانه لقراءة أبي السّمّال لتخيله أن في التقسيم إشعاراً بغرضه الفاسد، وليس كذلك؛ فإن التقسيم يحتمل الجزاء إما شاكراً فمثاب، وإما كفوراً فمعاقب، ويرشد إليه ذكر جزاء الفريقين بعد.

(٣) قوله: «فيسوء اختياره» هذا على مذهب المعتزلة أنه تعالى لا يخلق الشر، أما عند أهل السنة فهو خالق الخير والشر، كالشكر والكفر. (ع)

بالتنوين^(١). وفيه وجهان: أحدهما أن تكون هذه النون بدلاً من حرف الإطلاق، ويجري الوصل مجرى الوقف. والثاني: أن يكون صاحب القراءة به ممن ضرى برواية الشعر وممن لسانه على صرف غير المنصرف.

﴿إِنَّ الْأَشْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُؤْفُونَ بِالَّذِينَ يَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَى حَيْثُ مَسْكِنَاتِكَ وَيَبَسُّونَ كَأْسًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا تُطْعَمُونَ لِرُوحِهِ اللَّهِ لَا تُبَدُّ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا ﴿١٠﴾﴾

﴿الْأَشْرَارَ﴾ جمع بز أو باز، كرب وأرباب، وشاهد وأشهاد. وعن الحسن: هم الذين لا يؤذون الذر^(٢) والكأس: الزجاجاة إذا كانت فيها خمر، وتسمى ٢/٢٤٧ أ الخمر نفسها: كأسًا ﴿مِزَاجُهَا﴾ ما تمزج به ﴿كَافُورًا﴾ ماء كافور، وهو اسم عين في الجنة ماؤها في بياض الكافور^(٣) ورائحته ويرده. و﴿عَيْنًا﴾ بدل منه. وعن قتادة: تمزج لهم بالكافور وتختم لهم بالمسك. وقيل: تخلق فيها رائحة الكافور وبياضه ويرده، فكأنها مزجت بالكافور. و﴿عَيْنًا﴾ على هذين القولين: بدل من محل ﴿مِنْ كَأْسٍ﴾ على تقدير حذف مضاف، كأنه قيل: يشربون فيها خمرًا خمر عين. أو نصب على الاختصاص. فإن قلت: لم وصل فعل الشرب بحرف الابتداء أولًا، وبحرف الإلصاق آخرًا؟ قلت: لأن الكأس

(١) قال محمود: «قرئ بتنوين سلاسل فوجهه أن تكون هذه النون بدلاً من ألف الإطلاق... إلخ» قال أحمد: وهذا من الطراز الأول لأن معتقده أن القراءة المستفيضة غير موقوفة على النقل المتواتر عن النبي ﷺ في تفاصيلها، وأنها موكولة إلى اجتهاد القراء واختيارهم بمقتضى نظرهم كما مر له، وطم على ذلك ههنا فجعل تنوين سلاسل من قبيل الغلط الذي يسبق إليه اللسان في غير موضعه لتمرنه عليه في موضعه، والحق أن جميع الوجوه المستفيضة منقولة تواترًا عنه ﷺ، وتنوين هذا على لغة من يصرف في نثر الكلام جميع ما لا ينصرف إلا أفعل؛ والقراءات مشتملة على اللغات المختلفة، وأما قوارير قوارير: فقرئ بترك تنوينهما وهو الأصل، وتنوين الأول خاصة بدلاً من ألف الإطلاق لأنها فاصلة، وتنوين الثانية كالأولى اتباعًا لها؛ ولم يقرأ أحد بتنوين الثانية وترك تنوين الأولى، فإنه عكس أن يترك تنوين الفاصلة مع الحاجة إلى المجانسة، وتنوين غيرها من غير حاجة.

(٢) قوله: «لا يؤذون الذر» في الصحاح «الذر» النمل. (ع)

(٣) قال محمود: «كافورًا عين في الجنة اسمها كذلك في لون الكافور ورائحته ويرده... إلخ» قال أحمد: هذا الجواب على القولين الأولين؛ وأما على القولين الآخرين وهو أن العين بدل من كأس. ومعنى مزاجها بالكافور: إما اشتمالها على أوصافه، وإما أن يكون الكافور المعهود كما تقدم، فلا يتم الجواب المذكور، فيجيب عن السؤال بأنه لما ذكر الشراب أولاً باعتبار الوقوع في الوجود، ذكره ثانيًا مطمئنًا للالتذاد به، وكأنه قال: فيشربون منها فيلتذون بها؛ وعليه حمله أبو عبيدة.

مبدأ شربهم وأول غايته؛ وأما العين فيها يمزجون شرابهم فكان المعنى: يشرب عباد الله بها الخمر، كما تقول: شربت الماء بالعدل ﴿يَجْرُونَهَا﴾ يجرونها حيث شاؤا من منازلهم ﴿تَنجِيرًا﴾ سهلا لا يمتنع عليهم ﴿يُؤْتُونَ﴾ جواب من عسى، يقول: ما لهم يرزقون ذلك، والوفاء بالنذر مبالغة في وصفهم بالتوفير على أداء الواجبات؛ لأن من وفى بما أوجبه هو على نفسه لوجه الله كان بما أوجبه الله عليه أوفى ﴿سُتَظِيرًا﴾ فاشيا منتشرا بالغأ أقصى المبالغ، من استطار الحريق، واستطار الفجر. وهو من طار، بمنزلة استنفر من نفر ﴿عَلَى حَيْهٍ﴾ الضمير للطعام، أي: مع اشتهاه والحاجة إليه. ونحوه ﴿وَأَنَّى أَلْمَأَ عَلَى حَيْهٍ﴾ [البقرة: ١٧٧]، ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ﴾ [آل عمران: ٩٢]، وعن الفضيل بن عياض: على حب الله ﴿وَأَيُّرًا﴾ عن الحسن: كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم يؤتى بالأسير فيدفعه إلى بعض المسلمين فيقول: أحسن إليه؛ فيكون عنده اليومين والثلاثة، فيؤثره على نفسه (١٦٩٥). وعند عامة العلماء: يجوز الإحسان إلى الكفار في دار الإسلام ولا تصرف إليهم الواجبات وعن قتادة: كان أسيرهم يومئذ المشرك، وأخوك المسلم أحق أن تطعمه. وعن سعيد بن جبير وعطاء: هو الأسير من أهل القبلة، وعن أبي سعيد الخدري: هو المملوك والمسجون. وسمى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الغريم أسيرًا، فقال «غريمك أسيرك فأحسن إلى أسيرك» (١٦٩٦) ﴿إِنَّمَا تُقِيمُ كُرًّا﴾ على إرادة القول. ويجوز أن يكون قولاً باللسان منعا لهم عن المجازاة بمثله أو بالشكر؛ لأن إحسانهم مفعول لوجه الله؛ فلا معنى لمكافأة الخلق. وأن يكون قولهم لهم لطفًا وتفقيها وتبنيها، على ما ينبغي أن يكون عليه من أخلص لله. وعن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تبعث بالصدقة إلى أهل بيت، ثم تسأل الرسول ما قالوا؟ فإذا ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله. ويجوز أن يكون ذلك بيانًا وكشفًا عن اعتقادهم وصحة نيتهم وإن لم يقولوا شيئًا. وعن مجاهد: أما إنهم ما تكلموا به، ولكن علمه الله منهم فأثنى عليهم. والشكور والكفور: مصدران كالشكر والكفر ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ يحتمل أن إحساننا إليكم للخوف من شدة ذلك اليوم، لا لإرادة مكافأتكم؛ وإنا لا نريد منكم المكافأة لخوف عقاب الله تعالى على طلب المكافأة بالصدقة. ووصف اليوم بالعبوس. مجاز على طريقين: أن يوصف بصفة أهله من الأشقياء، كقولهم: نهارك صائم. روي أن الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران، وأن يشبه في شدته وضرره بالأسد العبوس أو بالشجاع الباسل: والقمطير: الشديد العبوس الذي يجمع ما بين عينيه.

١٦٩٥ - بيض له الزيلعي (٤/١٣٣).

١٦٩٦ - بيض له الزيلعي (٤/١٣٣).

قال الزجاج: يقال: اقمطرت الناقة: إذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها وزمت بأنفها^(١) فاشتقه من القطر وجعل الميم مزيدة. قال أسد بن ناعصة^(٢) [من الخفيف]:
وَأَصْطَلَيْتُ الْحُرُوبَ فِي كُلِّ يَوْمٍ بِأَسَلِ الشَّرِّ قَمْطَرِيصِ الصُّبْحِ^(٣)

﴿وَقَفَّهْمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ نَصْرَةَ وَسُرُورًا﴾ (١١) ﴿وَجَزَّهْمُ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ (١٢) ﴿مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْبَابِ لَا يَرُونَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ (١٣) ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نَذِيلًا﴾ (١٤) ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِبَيْنَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾ (١٥) ﴿قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ (١٦) ﴿وَيَسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَجْجِيلًا﴾ (١٧) ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا﴾ (١٨) ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا﴾ (١٩) ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ نِعْمًا وَمَلَاكِيًا كِيرًا﴾ (٢٠) ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوعٌ أَبْوَدٌ مِنْ فِضَّةٍ وَنَحْوُهَا مِنْ سُرَابٍ طَهُورًا﴾ (٢١) ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا﴾ (٢٢)

﴿وَلَقَّهْمُ نَصْرَةَ وَسُرُورًا﴾ أي: أعطاهم بدل عبوس الفجار وحنزهم نصرة في الوجوه وسرورًا في القلوب، وهذا يدل على أن اليوم موصوف بعبوس أهله ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ بصبرهم على الإيثار. وعن ابن عباس رضي الله عنه: أن الحسن والحسين مرضا، فعادهما رسول الله ﷺ في ناس معه، فقالوا: يا أبا الحسن، لو نذرت على ولدك، فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما إن برأ مما بهما: أن يصوموا ثلاثة أيام، فشفيا وما معهم شيء، فاستقرض علي من شمعون الخيري اليهودي ثلاث أصوع من شعير، فطحنت فاطمة صاعًا واختبزت خمسة أقراص على عددهم، فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد، مسكين من مساكين المسلمين، أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة، فأثروه وباتوا لم يذوقوا/٢/٢٤٧ب إلا الماء، وأصبحوا صيامًا؛ فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم، فأثروه؛ ووقف عليهم أسير في

(١) قوله: «وجمعت قطريها وزمت بأنفها» القطر: الناحية والجانب. وزق الطائر فرخه: أطعمه بفيه.

والزقرة: ترقيص الطفل، كذا في الصحاح. (ع)

(٢) قوله: «قال أسد بن ناعصة» من النعص: وهو التمايل. (ع)

(٣) لأسد بن ناعصة. وصلى النار واصطلاها إذا ذاق شدة حرها وتدفا بها، فشبه الحرب بالنار على طريق المكنية، والاصطلاء تخيل، والباسل: الشجاع إذا اشتد كلوحه. والقمطير: الشديد العبوس الذي يجمع ما بين عنيه، يقال: اقمطرت الناقة، إذا جمعت قطريها فرفعت ذنبها وزمت بأنفها، فهو من القطر، والميم زائدة، ووصف الشر والصبح بذلك مجاز.

ينظر: البحر ٣٩٢/٨، القرطبي ٩٠/١٩، الدر المصون ٤٤٢/٦.

الثالثة، ففعلوا مثل ذلك؛ فلما أصبحوا أخذ علي رضي الله عنه بيد الحسن والحسين وأقبلوا إلى رسول الله ﷺ، فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال: ما أشد ما يسوءني ما أرى بكم، وقام فانطلق، معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها. فسأه ذلك، فنزل جبريل وقال: خذها يا محمد هناك الله في أهل بيتك فأقرأه السورة (١٦٩٧). فإن قلت: ما معنى ذكر الحرير مع الجنة؟ قلت: المعنى وجزاهم بصبرهم على الإيثار وما يؤدي إليه من الجوع والعري بستانا فيه مأكّل هنيء، «وحريراً» فيه ملبس بهي. يعني: أن هواءها معتدل، لا حرّ شمس يحمي ولا شدة برد تؤذي. وفي الحديث: هواء الجنة سجاج^(١)، لا حرّ ولا قرّ. وقيل: الزمهرير القمر. وعن ثعلب: أنه في لغة طيء. وأنشد [من الرجز]:

وَلَيْلَةٌ ظَلَامُهَا قَدْ اغْتَكَّرَ قَطَعْتُهَا وَالزَّمْهَرِيرُ مَا زَهَرَ^(٢)

والمعنى: أن الجنة ضياء فلا يحتاج فيها إلى شمس وقمر. فإن قلت: ﴿وَدَائِنَةَ عَلَيْهِمْ ظِلْمُهَا﴾ علام عطفت؟ قلت: على الجملة التي قبلها؛ لأنها في موضع الحال من المجزيين؛ وهذه حال مثلها عنهم لرجوع الضمير منها إليهم في عليهم، إلا أنها اسم مفرد، وتلك جملة في حكم مفرد تقديره: غير راثين فيها شمساً ولا زمهريراً، ودانية عليهم ظلالها؛ ودخلت الواو للدلالة على أن الأمرين مجتمعان لهم، كأنه قيل: وجزاهم جنة جامعين فيها بين البعد عن الحرّ والقرّ ودنو الظلال عليهم وقرى: ودانية، بالرفع،

١٦٩٧ - ذكره الزيلعي في «تخريج الكشاف» ٤/١٣٤ وعزاه للثعلبي.
وقال: قال أبو عبد الله الترمذي الحكيم في كتابه نوادر الأصول في الأصل الرابع والأربعين: ومن الأحاديث التي تنكرها القلوب حديث روه عن مجاهد عن ابن عباس.. فذكره.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي من رواية القاسم بن بهرام عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عباس ومن رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يُؤْتُونَ بِالنَّذْرِ﴾ الآية فذكر تمامه. وزاد في أثنائه أشعاراً لعللي وفاطمة. قال الحكيم الترمذي في الرابع والأربعين: ومن الأحاديث التي تنكرها القلوب حديث روه عن مجاهد عن ابن عباس فذكره بشعره. ثم قال: هذا حديث مزوق مفتعل لا يروج إلا على أحمق جاهل. ورواه ابن الجوزي في الموضوعات من طريق أبي عبد الله السمرقندي. عن محمد بن كثير عن الأصمغ بن نياته. قال: مرض الحسن والحسين. إلى آخره فذكره بشعره وزيادة الفاظ. ثم قال: وهذا لا نشك في وضعه. انتهى.

- (١) قوله: «هواء الجنة سجاج» تفسيره ما بعده، كما يفيد الصحاخ. (ع)
(٢) أي: ورب ليلة ظلامها قد تراكم واختلط وكثر، قطعها وأمضيتها بالسير، والحال أن الزمهرير ما زهر أي: ما ظهر وأضاء. والزمهرير في لغة طيء: القمر؛ وهذه الحال مؤكدة لاعتكار الظلام.

على أن ظلالها مبتدأ، ودانية خبر، والجملة في موضع الحال؛ والمعنى: لا يرون فيها شمسًا ولا زمهريًا، والحال أن ظلالها دانية عليهم؛ ويجوز أن تجعل ﴿مُشْكِبِينَ﴾ و﴿لَا يَرُونَ﴾ و﴿وَدَائِيَّةً﴾ كلها صفات لجنة. ويجوز أن يكون ﴿وَدَائِيَّةً﴾ معطوفة علىجنة، أي: وجنة أخرى دانية عليهم ظلالها، على أنهم وعدوا جنتين، كقوله ﴿وَلَمَنْ حَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ۖ﴾ [الرحمن: ٤٦]، لأنهم وصفوا بالخوف: ﴿إِنَّا نَحْنُ مِنْ رَبِّنَا﴾ [الإنسان: ١٠]، فإن قلت: فعلام عطف ﴿وَدُلَّتْ﴾؟ قلت: هي - إذا رفعت ﴿وَدَائِيَّةً﴾ - جملة فعلية معطوفة على جملة ابتدائية، وإذا نصبتها على الحال، فهي حال من دانية، أي: تدنو ظلالها عليهم في حال تذليل قطوفها لهم. أو معطوفة عليها على: ودانية عليهم ظلالها، ومذلة قطوفها؛ وإذا نصبت ﴿وَدَائِيَّةً﴾ على الوصف، فهي صفة مثلها؛ ألا ترى أنك لو قلت: جنة ذلت قطوفها: كان صحيحًا؛ وتذليل القطوف: أن تجعل ذللا لا تمتنع على قطافها كيف شاؤا. أو تجعل ذليلة لهم خاضعة متقاصرة، من قولهم: حائط ذليل إذا كان قصيرًا ﴿قوارير قوارير﴾ قرئنا غير منونين، وبتنوين الأول، وبتنوينهما. وهذا التنوين بدل من ألف الإطلاق، لأنه فاصلة؛ وفي الثاني لإتباعه الأول، ومعنى قوارير من ﴿نَمَرٍ﴾ أنها مخلوقة من فضة، وهي مع بياض الفضة وحسنها في صفاء القوارير وشفيفها. فإن قلت: ما معنى كانت؟ قلت هو من - يكون - في قوله: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧] أي: تكونت قوارير، بتكوين الله تفخيماً لتلك الخلقة العجيبة الشأن، الجامعة بين صفتي الجوهريين المتباينين. ومنه كان في قوله: ﴿كَانَ مِرْآجُهَا كَأُورًا﴾ وقرئ «قوارير من فضة» بالرفع على: هي قوارير ﴿مَدْرُوهَا﴾ صفة لقوارير من فضة. ومعنى تقديرهم لها: أنهم قدروها في أنفسهم أن تكون على مقادير وأشكال على حسب شهواتهم، فجاءت كما قدرُوا. وقيل: الضمير للطائفتين بها، دل عليهم قوله: ﴿وَيَطَّأْنَ عَلَيْهِنَّ﴾ [الإنسان: ١٥]، على أنهم قدرُوا شرابها على قدر الرِّي، وهو ألد للشارب لكونه على مقدار حاجته لا يفضل عنها ولا يعجز. وعن مجاهد: لا تفيض ولا تغيض. وقرئ: قدرُوا، على البناء للمفعول. ووجه أن يكون من قدر، منقولاً من قدر. تقول: قدرت الشيء وقدرنيه فلان: إذا جعلك قادرًا له. ومعناه: جعلوا قادرين لها كما شاؤا. وأطلق لهم أن يقدروا على حسب ما اشتهاوا، سميت العين زنجيباً لطعم الزنجبيل فيها، والعرب تستلذه وتستطيعه.

قال الأعشى [من المقارب]:

كَأَنَّ الْقَرْنَفُلَ وَالزَّنْجَبِيلَ لَبَاتًا بِفِيهَا وَأَزْيَا مَشُورًا^(١)

(١) للأعشى، شبه رائحة فمها وطعمه بالقرنفل والزنجبيل، لأن العرب تستطيعهما وتستلذهما، وشبه طعم ريقها بطعم الأري: وهو العسل. والمشور: اسم مفعول، من شاره شورا إذا جناه. والشور: =

وقال المسيب بن علس^(١) [من الكامل]:

وَكَأَنَّ طَعْمَ الزَّنْجَبِيلِ بِهِ إِذْ ذُقْتُهُ وَسُلَاقَةَ الْخَمْرِ^(٢)

و﴿سَيْلًا﴾ لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساعها، يعني: أنها في طعم الزنجبيل وليس فيها/٢/٢٤٨ لذعه، ولكن نقيض اللذع وهو السلاسة. يقال: شراب سلسل وسلسال وسلسيل، وقد زيدت الباء في التركيب حتى صارت الكلمة خماسية. ودلت على غاية السلاسة. قال الزجاج: السلسيل في اللغة: صفة لما كان في غاية السلاسة. وقرئ: سلسيل، على منع الصرف، لاجتماع العلمية والتأنيث: وقد عزوا إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن معناه سل سبيلا إليها، وهذا غير مستقيم على ظاهره. إلا أن يراد أن جملة قول القائل: سل سبيلاً، جعلت علماً للعين، كما قيل: تأبط شراً؛ وذرى حباً؛ وسميت بذلك لأنه لا يشرب منها إلا من سأل إليها سبيلاً بالعمل الصالح، وهو مع استقامته في العربية تكلف وابتداع؛ وعزوه إلى سئل علي رضي الله عنه أبدع وفي شعر بعض المحدثين [من الخفيف]:

سَلَّ سَبِيلًا فِيهَا إِلَى رَاحَةِ الثُّفِّ سِ بِرَاحٍ كَأَنَّهَا سَلْسَبِيلُ^(٣)

و﴿سَيْتًا﴾ بدل من ﴿زَنْجَبِيلًا﴾ وقيل: تمزج كأسهم بالزنجبيل بعينه. أو يخلق الله طعمه فيها. و﴿سَيْتًا﴾ على هذا القول: مبدلة من ﴿كَأَنَّهَا﴾ كأنه قيل: ويسقون فيها كأساً كأس عين. أو منصوبة على الاختصاص. شبهوا في حسنهم وصفاء ألوانهم وانبثائهم في مجالسهم ومنازلهم باللؤلؤ المنثور وعن المأمون: أنه ليلة زفت إليه بوران بنت الحسن بن

= موضع تعمل فيه النحل.

ينظر: ديوانه (٨٥)، والبحر ٣٩٢/٨، والدر المصون: ٤٤٦/٦.

(١) قوله: «المسيب بن علس» العلس في الأصل: القراد الضخم. وبه سمي الرجل؛ كذا في الصحاح. (ع)

(٢) للمسيب بن علس؛ وإجراء التشبيه هنا في طعم الزنجبيل يفيد أنه في البيت السابق كذلك، وضمير به للغم وإذ ذقته: أي حين ذقت ريقه، فهو مجاز، وسلافة الخمر: أول ما يعصر من العنب ويتخمر، وتشبه طعم الريق بهما في مطلق الاستلذاذ لا يفيد أن فيه حرافة كما فيهما. وسلافة: عطف على طعم. ويجوز أن ضمير «به» للريق وهو المدقوق، ومعنى كون السلافة به: أنها ممزوجة فيه.

ينظر البحر: ٣٩٢/٨، والدر المصون: ٤٤٦/٦.

(٣) اطلب طريقاً فيها إلى راحة نفسك، براح: أي بخمر. والسلسيل والسلسال والسلسل: عين في الجنة سهلة الانحدار في الحلق، سلمة المساع. وزيدت الباء مبالغة في الدلالة على السلاسة والسهولة. وشبه الخمر بها لما هو معلوم وثابت بين الناس أن شراب الجنة أعلى الشراب. ينظر البحر: ٣٩٢/٨، والدر المصون ٤٤٦/٦.

سهل وهو على بساط منسوج من ذهب وقد نثرت عليه نساء دار الخلافة اللؤلؤ. فنظر إليه منثورًا على ذلك البساط، فاستحسن المنظر وقال: لله درّ أبي نواس، وكأنه أبصر هذا حيث يقول [من البسيط]:

كَأَنَّ صُغْرَى وَكُبْرَى مِنْ فَوَاقِعِهَا حَضَبَاءُ دُرٌّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ^(١)

وقيل: شبهوا باللؤلؤ الرطب إذا نثر من صدفه، لأنه أحسن وأكثر ماء ﴿رَأَيْتَ﴾ ليس له منقول ظاهر ولا مقدر ليشيع ويعم، كأنه قيل: وإذا أوجدت الرؤية، ثم ومعناه: أن بصر الرائي أينما وقع لم يتعلق إدراكه إلا بنعيم كثير وملك كبير و﴿نَمَّ﴾ في موضع النصب على الظرف، يعني في الجنة ومن قال: معناه: «ما ثم» فقد أخطأ، لأن «ثم» صلة لما، ولا يجوز إسقاط الموصول وترك الصلة ﴿كِبْرًا﴾ واسعًا وهنيئًا. يروى: أن أدنى أهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة ألف عام، يرى أقصاه كما يرى أدناه. وقيل لا زوال له. وقيل: إذا أرادوا شيئًا كان. وقيل: يسلم عليهم الملائكة ويستأذنون عليهم قريء «عالِيهم» بالسكون، على أنه مبتدأ خبره^(٢) ﴿ثِيَابٌ سُندِسٌ﴾ أي ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس. وعالِيهم بالنصب، على أنه حال من الضمير في ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ أو في ﴿حَيْثَبِهِمْ﴾ أي يطوف عليهم ولدان عاليًا للمطوف عليهم ثياب. أو حسبتهم لؤلؤًا عاليًا لهم ثياب. ويجوز أن يراد: رأيت أهل نعيم وملك عاليهم ثياب. وعالِيتهم: بالرفع والنصب على ذلك. وعليهم. وخضر واستبرق: بالرفع، حملا على الثياب وبالجر على السندس. وقرئ: واستبرق، نصبًا في موضع الجر على منع الصرف لأنه أعجمي، وهو غلط لأنه نكرة يدخله حرف التعريف؛ تقول: الاستبرق، إلا أن يزعم ابن محيصة أنه قد يجعل علمًا لهذا الضرب من الثياب. وقرئ: واستبرق، بوصل الهمزة والفتح: على أنه مسمى باستفعل من البريق، وليس بصحيح أيضًا: لأنه معرب مشهور تعريبه، وأن أصله: استبره ﴿وَسُلُوءًا﴾

(١) لأبي نواس، يصف الخمر بأن حباها الذي يعلوها كالفوارير يشبه الدر، وبأنها تشبه الذهب؛ وهو من التشبيه المركب. وحكى أنه لما زفت بوران بنت الحسن بن سهل للمأمون بن الرشيد كان على بساط منسوج بالذهب ونثرت عليه نساء دار الخلافة اللؤلؤ، فنظر إليه وقال: لله در أبي نواس حيث قال: كان صغرى... البيت؛ وقد عيب عليه استعمال صغرى وكبرى مجردتين من أل والإضافة، مع أنهما عن أفعل التفضيل، وهو إذا جرد وجب تذكيره.

ينظر ديوانه ص ٣٤، وخزانة الأدب ٢٧٧/٨، ٣١٥، ٣١٨ وشرح قطر الندى ص ٣١٦، وشرح المفصل ١٠٢/٦، وشرح الأشعموني: ٣٨٦/٢، ومعني اللبيب ٣٨٠/٢.

(٢) قال محمود: «قرئ بالسكون على أنه مبتدأ خبره ثياب... إلخ» قال أحمد: في هذا الوجه الآخر نظر، فإنه يجعله داخلًا في مضمون الحساب، وكيف يكون ذلك وهم لابسون السندس حقيقة، لا على وجه التشبيه باللؤلؤ، بخلاف كونهم لؤلؤًا، فإنه على طريق التشبيه المقتضى لقرب شبههم باللؤلؤ إلى أن يحسبوا لؤلؤًا. ويحتمل أن يصحح هذا الوجه لكن بعد تكلف مستغنى عنه بالأول.

عطف على ﴿وَيَطُورُ عَلَيْهِمْ﴾. فإن قلت: ذكر ههنا أن أساورهم من فضة، وفي موضع آخر أنها من ذهب. قلت: هب أنه قيل وحلوا أساور من ذهب ومن فضة، وهذا صحيح لا إشكال فيه، على أنهم يسورون بالجنسين: إما على المعاقبة، وإما على الجمع، كما تزوج نساء الدنيا بين أنواع انحلي وتجمع بينها، وما أحسن بالمعصم أن يكون فيه سواران: سوار من ذهب، وسوار من فضة^(١) ﴿شَرَابًا طَهُورًا﴾ ليس برجس كخمر الدنيا؛ لأن كونها رجسًا بالشرع لا بالعقل، وليست الدار دار تكليف. أو لأنه لم يعصر فتمسه الأيدي الوضرة^(٢)، وتدوسه الأقدام الدنسة، ولم يجعل في الدنان والأباريق التي لم يعن بتنظيفها. أو لأنه لا يؤول إلى النجاسة لأنه يرشح عرقًا من أبدانهم له ريح كريح المسك. أي: يقال لأهل الجنة ﴿إِنَّ هَذَا﴾ وهذا إشارة إلى ما تقدم من عطاء الله لهم: ما جوزيتم به على أعمالكم وشكر به سعيكم، والشكر مجاز.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ (٢٣) فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ مَنَّهُمْ ءَأَمَّا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾
وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾

تكرير الضمير بعد إيقاعه اسمًا لأن: تأكيد على تأكيد لمعنى اختصاص الله بالتنزيل؛ ليتقرر في نفس رسول الله ﷺ أنه إذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله على أي وجه نزل إلا حكمة وصوابًا، كأنه قيل: ما نزل عليك/ ٢/ ٢٤٨ ب القرآن تنزيلاً مفرقاً منجماً إلا أنا لا غيري، وقد عرفنتي حكيمًا فاعلاً لكل ما أفعله بدواعي الحكمة، ولقد دعنتي حكمة بالغة إلى أن أنزل عليك الأمر بالمكافة والمصابرة، وسأنزل عليك الأمر بالقتال والانتقام بعد حين ﴿فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ الصادر عن الحكمة وتعليقه الأمور بالمصالح، وتأخيره نصرته على أعدائك من أهل مكة، ولا تطع منهم أحدًا قلة صبر منك على أذاهم وضجرًا من تأخر الظفر، وكانوا مع إفراطهم في العداوة والإيذاء له ولمن معه يدعونه إلى أن يرجع عن أمره ويبدلون له أموالهم وتزويج أكرم بناتهم إن أجابهم. فإن قلت: كانوا كلهم كفرة، فما

(١) قال السمين الحلبي: وناقشه الشيخ في قوله: بالمعصم فقال: قوله: بالمعصم إما أن يكون مفعول أحسن و«كأن يكون» بدلاً منه، وإما أن يكون مفعول «أحسن» وقد فصل بينهما الجار والمجرور. فإن كان الأول فلا يجوز؛ لأنه لم يعهد زيادة الباء في مفعول أفعل للتعجب. لا تقول: ما أحسن بزيدا! تريد ما أحسن زيدا. وإن كان الثاني ففي مثل هذا الفصل خلاف فالمقول عن بعضهم يجوز، والمولد منا ينبغي إذا تكلم أن يتحرز في كلامه مما فيه خلاف. قلت: وأي عرض له في تتبع كلام هذا الرجل: حتى في هذا الشيء اليسير. على أن الصحيح جوازه، وهو المسموع عن العرب نثرًا. قال عمرو بن معد يكرب: «الله درُ بني فلان ما أشد في الهيجاء لقاءها، وأثبت في المكرمات بقاءها، وأحسن في اللزبات عطاءها»، والتشاغل بغير هذا أولى. انتهى. الدر المصون.

(٢) قوله: «فتمسه الأيدي الوضرة» من الوضرة: وهو الدر والدم. أفاده الصحاح. . (ع)

معنى القسمة في قوله ﴿إِنَّمَا أَوْ كَفُورًا﴾؟ قلت: معناه ولا تطع منهم ركبًا لما هو إثم داعيًا لك إليه أو فاعلاً لما هو كفر داعيًا لك إليه؛ لأنهم إما أن يدعوهم إلى مساعدتهم على فعل هو إثم أو كفر، أو غير إثم ولا كفر، فنهى أن يساعدهم على الاثنين دون الثالث. وقيل: الآثم عتبه؛ والكفور: الوليد؛ لأن عتبه كان ركبًا للمآثم، متعاطيًا لأنواع الفسوق؛ وكان الوليد غالبًا في الكفر شديد الشكيمة في العتو. فإن قلت: معنى أو: ولا تطع أحدهما، فهلا جيء بالواو ليكون نهيًا عن طاعتها جميعًا؟ قلت: لو قيل: ولا تطعهما، جاز أن يطيع أحدهما، وإذا قيل: لا تطع أحدهما، علم أن الناهي عن طاعة أحدهما: عن طاعتها جميعًا أنهى. كما إذا نهي أن يقول لأبويه: أف، علم أنه منهي عن ضربهما على طريق الأولى ﴿وَأَذْكُرْ أُمَّ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (١٥) ودم على صلاة الفجر والعصر ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ﴾ وبعض الليل فصل له. أو يعني صلاة المغرب والعشاء، وأدخل (من) على الظرف للتبويض، كما دخل على المفعول في قوله: ﴿بَقِيَ لَكَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ﴾ [نوح: ٤]، ﴿وَسَيِّحَةٌ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ (١) وتهجد له هزيعًا طويلًا من الليل: ثلثيه، أو نصفه، أو ثلثه.

﴿إِن هَؤُلَاءِ يَحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا نَقِيلًا﴾ (١٧) ﴿مَنْ خَلَقْتَهُمْ وَسَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَلْنَا أَمْثَلَهُمْ بَدِيلًا﴾ (١٨)

﴿إِن هَؤُلَاءِ﴾ الكفرة ﴿يَحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ يؤثرونها على الآخرة، كقوله: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [الأعلى: ١٦]، ﴿وَرَاءَهُمْ﴾ قدامهم أو خلف ظهورهم لا يعباون به ﴿يَوْمًا نَقِيلًا﴾ استعير الثقيل لشدة وهوله، من الشيء الثقيل الباهظ لحامله. ونحوه: ﴿نَقَلْتُ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، الأسر: الربط والتوثيق. ومنه: أسر الرجل إذا أوثق بالقدح وهو الإسار. وفسر مأسور الخلق. وترس مأسور بالعقب (٢). والمعنى: شدتنا توصيل عظامهم بعضها ببعض، وتوثيق مفاصلهم بالأعصاب. ومثله قولهم: جارية معصوبة الخلق ومجدولته ﴿وَإِذَا شِئْنَا﴾ أهلكتناهم ﴿بَدَلْنَا أَمْثَلَهُمْ﴾ في شدة الأسر، يعني: النشأة الأخرى. وقيل: معناه: بدلنا غيرهم ممن يطيع. وحقه أن يجيء بيان، لا بإذا، كقوله: ﴿إِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ يَوْمًا عَيْرَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨]، ﴿إِن يَشَأْ يُدْهِبْكُمْ﴾ [النساء: ١٣٣].

﴿إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ (١٩) ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ﴾

- (١) قوله: «وتهجد له هزيعًا طويلًا» في الصحاح: مضى هزيع من الليل، أي: طائفة. (ع)
(٢) قوله: «وترس مأسور بالعقب» في الصحاح: العقب - بالتحريك - : العصب: الذي تعمل منه الأوتار؛ الواحدة عقبة، تقول منه: عقبت السهم والقدح والقوس: إذا لويت شيئًا منه عليه. (ع)

كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣١﴾ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٢﴾

﴿هَذِهِ﴾ إشارة إلى السورة أو إلى الآيات القريبة ﴿فَمَنْ شَاءَ﴾ فمن اختار الخير لنفسه وحسن العاقبة واتخاذ السبيل إلى الله عبارة عن التقرب إليه والتوسل بالطاعة ﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾ الطاعة^(١) ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ بقسره عليها^(٢) ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بأحوالهم وما يكون منهم ﴿حَكِيمًا﴾ حيث خلقهم مع علمه بهم. وقرئ: تشاؤون، بالتاء. فإن قلت: ما محل ﴿أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾؟ قلت النصب على الظرف، وأصله: إلا وقت مشيئة الله، وكذلك قراءة ابن مسعود: إلا ما يشاء الله؛ لأن (ما) مع الفعل كأن معه ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ﴾ هم المؤمنون ونصب ﴿وَالظَّالِمِينَ﴾ بفعل يفسره. أعد لهم، نحو: أوعد وكافأ، وما أشبه ذلك وقرأ ابن مسعود: وللظالمين، على: وأعد للظالمين وقرأ ابن الزبير: والظالمون على الابتداء، وغيرها أولى لذهاب الطباق بين الجملة المعطوفة والمعطوف عليها فيها، مع مخالفتها للمصحف.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة هل أتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرًا» (١٦٩٨).

١٦٩٨ - تقدم برقم (٣٤٦).

وقال ابن حجر: أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بأسانيدهم إلى أبي بن كعب انتهى.

(١) قال محمود: «معناه وما تشاؤون الطاعة إلا أن يشاء الله... إلخ» قال أحمد: وهذا من تحريفاته للنصوص وتسوره على خزائن الكتاب العزيز، كدأب الشطار واللصوص، فلنقطع يد حجته التي أعدها، وذلك حكم هذه السرقة وحدها، فنقول: الله تعالى نفى وأثبت على سبيل الحصر الذي لا حصر ولا نصر أوضح منه. ألا ترى أن كلمة التوحيد اقتصر بها على النفي والإثبات؛ لأن هذا النظم أعلق شيء بالحصر وأدله عليه، فنفي الله تعالى أن يفعل العبد شيئاً له فيه اختيار ومشية، إلا أن يكون الله تعالى قد شاء ذلك الفعل؛ فمقتضاه ما لم يشأ الله وقوعه من العبد لا يقع من العبد، وما شاء منه وقوعه وقع، وهو رديف: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن؛ وانظر إدخاله القسر في تعطيل الآية لا تأويلها كيف ناقض به؛ فإن معنى الآية عنده: أن مشيئة العبد للفعل لا تكون إلا إذا قسره الله عليها، والقسر مناف للمشيئة؛ فصار الحاصل أن مشيئة العبد لا توجد إلا إذا انتفت؛ فإذا لا مشيئة للعبد البتة ولا اختيار، وما هو إلا فر من إثبات قدرة للعبد غير مؤثرة ومشية غير خالفة، ليتم له إثبات قدرة ومشية مؤثرين، فوقع في سلب القدرة والمشية أصلاً ورأساً، وحيث لزم الحيد عن الاعتزال: انحرف بالكلية إلى الطرف الأقصى متحيزاً إلى الجبر، فيا بعد ما توجه بسوء نظره. والله الموفق.

(٢) قوله: «إلا أن يشاء الله أن يقسره عليهم» إرادته تعالى تستلزم وجود المراد، ولكن لا تستلزم كون العبد مقسوراً ومجبوراً على الفعل إلا عند المعتزلة. وأما أهل السنة فقد أثبتوا للعبد الكسب، مع كون الله هو الخالق الفعل عندهم؛ وتفصيل ذلك في التوحيد. (ع)